

نفحات القرآن

[172] إنَّ كلَّ ذلك صحيح ، ولكن تضاف إليها شهادة أُخرى وتستحقُّ التفصيل فيها وهي أنَّ ذاته المقدَّسة بنحو يأبى التعدُّد ، وجود لا نهاية له ، والوجود اللانهائي واحد فقط ، فذاته إذن دليل على وحدانية ذاته (فتأمَّل جيِّداً) . ولا منافاة - طبعاً - بين التفسيرات الثلاث ويمكن أن تكمن في مفهوم الآية ، وعليه فإنَّ إصرار بعض المفسِّرين مثل صاحب (الميزان) في أنَّ تفسير الآية ينحصر في المعنى الأوَّل (الشهادة اللفظية) مع ملاحظة إطلاق لفظ الآية ممَّا لا يوجد دليل واضح عليه . أمَّا السبب في تكرار جملة (لا إله إلاَّ الله) في الآية ، فالظاهر هو أنَّ الأولى بمثابة المقدِّمة ، والثانية النتيجة ، ولعلَّ في الرواية التي وردت في تفسير القرطبي (المفسِّر السنِّي المعروف) عن الإمام الصادق (عليه السلام) إشارة إلى هذا المعنى حيث يقول فيها : الأولى وصف وتوحيد ، والثانية رسم وتعليم يعني (قولوا لا إله إلاَّ الله العزيز الحكيم) (1) . * * * هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن الآية الثانية وهي من الآيات الأولى من سورة الحديد - ونعلم أنَّ هذه الآيات تتضمَّن بياناً دقيقاً وطريفاً عن صفات الله الجمالية والجلالية لذوي الأفكار الثاقبة ، كما يستفاد من الحديث الوارد عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) - يقول عزَّ وجلَّ : (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) (2) ولذلك فإنَّ الحياة والموت في قبضته أيضاً (يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

1 - تفسير الرطبي : ج 2 ص 1285 . 2 - لاحظ أنَّ في تقديم (له) إشارة إلى الحصر ، ويعني أنَّ ملك السماوات والأرض منحصر في ذاته المقدَّسة .